

النظريات السكانية

ثانياً - نظرية أرسين ديمونت (ديمون)

ديموغرافي فرنسي ولد عام 1890، وصاحب مبدأ جديد في علم السكان أو الارتقاء الاجتماعي، حيث أصدر كتاباً عن (تناقص السكان والمدنية) عالج فيه مشكلة السكان من وجهة النظر الأخلاقية، وبين فيه أن الأسرة خاصة الأسرة كثيرة العدد تشكل عاملاً أخلاقياً مهذباً بالنسبة للوالدين والأطفال معاً، ومن الطبيعي أن يستفيد المجتمع من هذه الآداب، فوجود الأطفال يعطي الوالدين شعوراً بالمسؤولية والحرص وتجنب الوقوع بالخطأ، كما أن احترام الأطفال للآباء يجعل الآباء يحترمون أنفسهم وينعكس ذلك على الأطفال بالفائدة النفسية والاجتماعية في ظل عدد كبير من الإخوة والأخوات الذين يعيشون مع بعضهم، بالإضافة إلى أن سلطة الأب تزداد بزيادة عدد الأطفال، وأن الأطفال في الأسرة الكبيرة يتفوقون على الأطفال في أسر الطفل الوحيد تفوقاً جسدياً وفكرياً فهم قد أُعدوا منذ البداية على أن يستقوا طريقهم في الحياة معتمدين على أنفسهم .

عُرِفَت أفكار ديمون بنظرية العزلة الاجتماعية أو الشرعية الاجتماعية، لأنه شبه الفرد بالمجتمع بالزيت في شريط المصباح الذي يميل إلى الصعود إلى مستويات أعلى من بيئته الاجتماعية في شكل حراك اجتماعي وأنه في عملية الارتقاء الاجتماعي هذه يصبح أقل قدرةً من الناحية الاجتماعية على الإنجاب (تضعف الرغبة لديه بالتكاثر والإنجاب)، لأنه يبتعد عن بيئته الطبيعية ويفقد تركيزه واهتمامه بالأسرة، بسبب انشغاله بعملية الارتقاء الاجتماعي التي سوف تعود عليه بالفائدة الشخصية بغض النظر عما إذا كان في ذلك فائدة أو ضرر بمجتمعه أو بالجنس البشري عامةً، ويُسمي ديمون ظاهرة الارتقاء من طبقة دنيا إلى طبقة أعلى منها بالتقدم الاجتماعي الذي يعد من أهم الأسباب في تحديد حجم الأسرة، ويرى على هذا الأساس أن زيادة عدد السكان في المجتمع تتناسب عكساً مع تكوين الفرد لنفسه .

ويَعتبر ديمون أن انشغال الفرد في تحسين أحواله الشخصية علامةً من علامات تدهور المجتمع وضعف الروح القومية وعامل من عوامل تفكك الأسر وقلة الإنجاب، كما يشير إلى أن الهجرة إلى المدن عامل سلبي آخر يؤثر في تنمية المجتمع.

باختصار يؤكد ديمون على أهمية التزايد السكاني في الجانبين الأخلاقي والمعنوي للأسر كثيرة العدد كما أن التقدم الحضري (الارتقاء الاجتماعي) عامل رئيسي في إضعاف الرغبة على الإنجاب والتكاثر .

الانتقاد الموجه لنظرية ديمون

لم تُعطِ نظرية ديمون تفسيراً كاملاً لهبوط نسبة المواليد في فرنسا أو غيرها من بلدان العالم، إلا أنها لا تخلو من القيمة من وجهة النظر الاجتماعية من حيث أنها لفتت الأنظار إلى أهمية الظروف الاجتماعية التي تسود في مجتمع يتزايد سكانه أو يتناقصون .

ثالثاً - نظرية ألكسندر كارسوندرز (1886)

باحث إنكليزي اهتم بدراسة الظواهر السكانية، حيث يرى أن السكان يتزايدون بمعدلات تتناسب مع موارد المجتمع، وتتركز فكرته على أن الإنسان يحاول دائماً أن يصل بحجمه إلى الحد الأمثل للسكان، وهو أقصى عدد من السكان يمكن أن يعيش في مجتمع ما في مستوى لائق من المعيشة بعد استغلال البيئة من جميع نواحيها الطبيعية والبشرية والحضرية؛ أي يخضع النمو السكاني لسيطرة الإنسان الذي بدوره يخضع لتفاعله مع البيئة ويتغير عدده طبقاً لتغير هذا التفاعل .

ويمكن تلخيص نظرية كارسوندرز بالنقاط الآتية :

1- يرى أن الكثافة السكانية مفهوم نسبي، ولا يجب أن نحكم على مجتمع بأنه قليل السكان إذا كان عدده قليلاً في الكيلو متر المربع الواحد، لأن هذا العدد قد يكون قليلاً وهناك موارد وثروات كثيرة مثل البلاد الغنية بالأنهار والمعادن والصناعات، كذلك لا يجب أن نقر بوجود مجتمع كثير السكان إذا كان عدده كبيراً في الكيلو متر المربع الواحد، لأن هذا العدد قد يكون كبيراً وهناك قلة في الموارد مثل المجتمعات الصحراوية .

2- يفترض كارسوندرز بأن هناك علاقة بين حجم السكان وموارد الثروة في المجتمع من أرض زراعية يمكن استغلالها، أو ثروة معدنية يمكن استخراجها، أو غيرها من الموارد اللازمة للإنتاج، بحيث يُحكم على عدد السكان بأنه قليل إذا كان العدد لا يساعد على قيام المشروعات التي تستثمر هذه الموارد ويعجز عن توفير المنتجات التي يحتاجها هذا العدد، ويكون عدد السكان كثيفاً إذا كانت الزيادة تؤدي إلى تناقص الإنتاج المستخرج من الموارد وعدم إيفائه بحاجات عدد السكان، ويوصف المجتمع بأنه قد وصل إلى الحجم الأمثل إذا كان في حالة الوسط بين القلة والكثرة وبلغ إنتاجه إلى أقصاه مع عدم الزيادة في عدده .

3- استخلص كارسوندرز بالاعتماد على دخل الفرد في المجتمع والمترتب على موارد الثروة في هذا المجتمع مقياساً يمكن بواسطته التعرف على مستوى القلة أو الكثرة أو المثلى الذي قد يصل إليه السكان على النحو الآتي:

- إذا كان متوسط الدخل المترتب على مصادر الثروة في المجتمع يميل إلى الارتفاع تدريجياً فإن عدد السكان يكون عند حد أقل .
- إذا وصل متوسط الدخل إلى حالة الاستقرار فإن عدد السكان يكون عند الحد الأمثل .
- إذا كان متوسط يميل إلى الانخفاض تدريجياً فإن عدد السكان يكون عند حد متزايد .

الانتقادات الموجهة إلى نظرية كارسوندرز

1- لم يتوخ كارسوندرز الدقة في تحديد مفهوماته خاصةً عندما مال إلى تحديد الحجم الأمثل بالاعتماد على عامل واحد هو موارد الثروة، فهو قد أغفل العوامل الأخرى التي بينها نتائج الدراسات السكانية الحديثة مثل دور التنظيم الاجتماعي والمستوى التكنولوجي والفني والثقافي والصحي .

2- تتسم هذه النظرية بطابع استاتيكي (غير ديناميكي)، لأنها لم تأخذ في اعتبارها الظروف المتغيرة الناتجة عن التقدم التكنولوجي وارتفاع مستوى المعيشة، وما يترتب على الموارد المتاحة من تغيرات مثل اكتشاف البترول حيث يتغير الحجم الأمثل بتغير هذه الظروف، وبالتالي لا يمكن تحديد هذا الحجم بصفة مطلقة بالنسبة لمجتمع معين، ومن ناحية أخرى فإن تعريف الحجم الأمثل للسكان قد لا ينطبق على الدول النامية لأن المهم لهذه الدول هو الحصول على أقصى قدر ممكن من الاستثمارات وليس وصول متوسط الدخل الفردي إلى أقصاه.

3- تفتقر النظرية إلى القدرة على التنبؤ، وذلك لأنه لو افترضنا أنه يمكن تحديد الحجم الأمثل للسكان بالنسبة لمجتمع معين في فترة زمنية معينة فلا تساعد هذه النظرة على تحديد السياسة السكانية التي يجب اتباعها حتى يمكن القضاء على الفجوة بين الحجم الفعلي والحجم الأمثل للسكان، إذ ليس من اليسير توقع الاتجاه المستقبلي لتكوين المجتمع الاقتصادي .

رابعاً - نظرية سيدني كونتز

اهتم كونتز بدراسة الظواهر السكانية، وقد وضع آراءه في السكان في مؤلفات عديدة، وتأثر بأفكار ماركس في تفسير الظاهر السكانية على ضوء العوامل الاقتصادية، ويرى كونتز أن نمو السكان يتوقف على عوامل اقتصادية ثلاثة تتمثل بالآتي :

1- مقدار العمل المطلوب

إن فرص العمل المتاحة هي التي تحدد معدلات الزواج والإنجاب .

2- نوع العمل المطلوب

إن زيادة الطلب على العمل غير الماهر (العمل الذي لا يحتاج إلى تكاليف إعداد) تؤدي إلى ارتفاع الخصوبة، في حين زيادة الطلب على العمل الماهر لا تؤدي بالضرورة إلى ارتفاع الخصوبة، لأن هذا النوع من العمل يتطلب تكاليف إعداد كبيرة، وبالتالي لا تستطيع الأسرة الإنفاق على عدد كبير من الأطفال الذين تعدهم لحياتهم المهنية .

وبذلك فسر كونتز العلاقة بين الخصوبة والدخل، وانتهى إلى أنه إذا كان الأغنياء أقل إنجاباً من الفقراء فإن ذلك يرجع إلى أن المهن التي يمارسها الأغنياء تتطلب إعداداً طويلاً ومكلفاً .

3- الوظائف الاقتصادية للأسرة

إن التغير الذي طرأ على الوظيفة الاقتصادية للأسرة حولها عما كانت عليه في المجتمعات الزراعية من وحدة إنتاجية تحتاج إلى أيدي عاملة كثيرة إلى ما صارت عليه في المجتمعات الصناعية، إذ تحولت إلى وحدة استهلاكية بسبب تخلي الزوجة والأولاد عن وظيفتهم الإنتاجية داخل الأسرة، مما أفقد الأطفال قيمتهم الاقتصادية وأدى بالتالي إلى انخفاض الخصوبة، كذلك خروج المرأة للعمل ومشاركتها في الإنتاج خارج المنزل جعلها ترغب في الحد من الإنجاب لكي لا تنقطع عن العمل لفترة تفقد فيها الأجر الذي تتقاضاه .

النقد الموجه لنظرية كونتز

يؤخذ على نظرية كونتز تجاهله لأثر العوامل الاجتماعية الأخرى على الإنجاب، كذلك عدم اهتمامه بما هو ملاحظ من ظواهر في الدول النامية واستمرار ارتفاع معدلات الخصوبة بالرغم من انتشار البطالة فيها .

• النظريات الطبيعية

يجمع بين هذه النظريات اعتقاد أن الذي يتحكم في نمو السكان هو طبيعة الإنسان نفسه وطبيعة العالم الذي يعيش فيه، وأنه إذا كان هناك سيطرة للإنسان على هذا النمو فهي سيطرة محدودة جداً، وهذا النوع من النظريات يبين لنا كيف كان علماء الحياة يحاولون إيجاد قانون لنمو السكان يتمكنون فيه من معرفة ما حدث

في الماضي وماذا سيحدث في المستقبل دون أي تدخل من الإنسان من ناحية القيم أو الاتجاهات، لأن ذلك شيء طبيعي لا يمكن منعه.

ومن أبرز رواد هذا الاتجاه :

أولاً - نظرية سادلر (ميشيل سادلر)

يرى أن تكاثر السكان عملية بيولوجية تتحكم في نفسها بنفسها، وإذا وصل بلد من البلدان إلى درجة الكثرة تدخلت العوامل البيولوجية لحمايتهم من التضخم الزائد عن طريق إنقاص قدرة الإنسان الفيزيولوجية على الإنسال، ووفقاً لتزايد الجنس البشري فإن قدرة الإنسان على التناسل تتناسب عكسياً مع عدد السكان؛ بمعنى أن الطبيعة ممثلة في العوامل البيولوجية هي الكفيلة بتحديد العدد المناسب للسكان من خلال زيادة قدرته على الإنسال إذا قل عدد المجتمع، كما يحدث العكس بأن تتدخل العوامل البيولوجية لإنقاص القدرة على الإنسال إذا زاد عدد المجتمع عن حد معين، كما يعتقد سادلر بأن السعادة والغنى تضعف الخصوبة ، وأن الحرمان من الترف يشجع على التناسل وينمي القدرة عليه .

وأشار إلى أن الإنسان ينتقل من مرحلة الصيد إلى مرحلة الرعي ثم إلى مراحل الزراعة والصناعة ويرتقي في النهاية إلى أرقى مدارج الحضارة التي تظهر فيها ظاهرة تقسيم العمل بكل وضوح، وينجم عن ذلك تخفيف وطأة العمل فيتحرر كثير من الأفراد من السخرة، ويُقبلون على أعمال ذات صبغة عقلية وربما يستغنون عن العمل، في حين تأخذ وسائل المعيشة في التزايد وتنتشر الراحة وتعم الرفاهية، وينقص عدد السكان في كل مرحلة من مراحل الرقي بالتدرج إلى أن يقف عند نقطة محددة يبلغ عندها أكبر عدد من السكان أقصى درجة ممكنة من السعادة، ويبدو التفاؤل في مستقبل السكان اقتصادياً على أساس طبيعي عنده على عكس مالتوس لأنه يرى أن الاختلاف في درجة القدرة على الإنجاب تتأثر بالسعادة والغنى وليس بالبؤس والرذيلة كما يقول مالتوس كما استبعد تأثير الموانع الإيجابية في زيادة السكان.

الانتقادات الموجهة لنظرية سادلر

1- من أهم أوجه الانتقاد التي وجهت لنظرية سادلر أنها لم تقم على أساس دراسة كل الحقائق المعروفة عن النمو السكاني .

2- لم تميز بين القدرة على النسل والنمو الفعلي للسكان.

ثانياً - نظرية دبلداي (توماس دُبلداي)

تتلخص نظرية دبلداي بالنقاط الآتية

- ❖ يرتبط التزايد في عدد السكان ارتباطاً عكسياً بـموارد الغذاء؛ أي أنه كلما تحسنت موارد الغذاء المتاحة أبطأت الزيادة في أعدادهم.
- ❖ يشجع الفقر على الخصوبة العالية .
- ❖ الأغنياء الذين لديهم كفاية من الغذاء عددهم في تناقص مستمر .
- ❖ أي أمة يكون الثراء فيها كافياً لإيجاد طبقة وسطى بين الأغنياء والفقراء كفايتهم من الغذاء متوسطة وعددهم ثابت .
- ❖ ليس هناك ثمة أساس علمي للاعتقاد بأن للكثافة السكانية أو لنسبة البروتين من الغذاء أي تأثير ملحوظ في القدرة علي الإنجاب.

الانتقاد الموجه لنظرية دبلداي

- يؤخذ على دبلداي أنه يرى أن أشد الناس قدرةً على التناسل أشدهم بؤساً، وأن قوة الإنجاب تميل دائماً إلى التناقص الذي ينجم عن كثرة الغذاء .